المطاوعات اللبنانيَّة في واشنطن

بسّام ضو



سقطت ورقة التين الأخيرة. تأكَّدت سَوْأة المفاوضات أكثر من أيِّ وقتٍ قريب مضى. الميثولوجيا الدِينَويَّة عن تناول آدم وحوَّاء من ثمار الشجرة المحرَّمة تحوَّلت إلى ميثولوجيا سياسية، تحققت عمليَّاً إذْ تناولتِ السلطة من ثمار الشجرة الوطنيةِ التي لا تراها محرَّمة. أوْقعتْ نفسها في الخطيئةِ التي دبَّرتها الولايات المتحدة والاحتلال الإسرائيلي. اخترعا "هدنةً مؤقَّتةً" جديدة تنتهي في آخر حزيران/يونيو المقبل، وتحمل في طيَّاتها كلَّ عوامل استمرار العدوان. السقف الزمني في حدِّ ذاتِهِ شُبهة كبيرة. يبدو واضحاً أنَّ السلطة لا تريد أن تتعلَّم من التجارب السابقة. ما زالت تهرب إلى الأمام وتتحدَّثُ عن إنهاء "حالة الحرب"، وكأنَّ في يديها أوراقاً قويَّة تفاوض على أساسها فيما هي تجاهلت خصائص الوضع اللبناني، وأشاحت بعينيها عن معنى "الجنوبِ" اللبناني سياسياً ووطنيَّاً، وسلَّمت أمام واشنطن وربيبتها "إسرائيل" بأنَّ المشكلة هي سلاح المقاومة، وكيفية نزعه، لا الاحتلال نفسه. اِسْتِعراءُ السلطة فيما يسمَّى "المفاوضات" المرتقَبِ استئنافها في الأيام المقبلة، حوَّلها إلى "مطاوعات". لم يبقَ فيها شيءٌ إلا إملاءات المعنى الأميركي – الإسرائيلي، والمُطاوعة اللبنانية الرسميَّة. مواقف الخارجيّة الأميركية تؤكِّدُ ذلك. يظهر هذا الأمرُ في مثلَّثٍ خطير يتكوَّنُ من: اتساع الغموض المتعمَّد في مفهوم وقف إطلاق النار المنسوف أصلاً بمزاعمِ ما يُسمَّى "حقّ إسرائيل في الدفاع عن النفس وحريَّة الحركة". كلمات هُلاميَّة فضفاضة تقدِّم ورقة رابحة للعدوِّ الإسرائيلي، تعطيه حرية التفسير لا حرية الحركة فحسبُ وتجعله يبتزُّ لبنان بتغطية أميركية أعلنت عنها مراراً- وبوضوح حرفي- بيانات الخارجية والبيت الأبيض.. سكتت السلطة. تصاعُد التشديد على نزع سلاح المقاومة، وتصويرها بأنها خارجة على القانون. وهنا نطقت السلطة ولم تسكت بل قدَّمت هذه الورقة قبل جلسات "المطاوعات". الضبابية المشينة في قضية مطلب الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي اللبنانية، واختراع نظرية الانسحاب على مراحل طويلة، وإغفال خطورة الدعوة إلى إعادة ترسيم الحدود.. سكتت السلطة أيضاً. هذا المثلث الأسود هو الذي سيحكم مستقبل لبنان القريب. كان لدينا أملٌ فقلنا إنَّ السلطة وقعت في الخطأْ. أمَّا اليوم فنقول إنَّ السلطةَ تعمَّدَتْ فوقعت في الخطيئة. وإذا كان ممكناً أنْ يأتي إلى مائدة "المفاوضات" عَدُوَّانِ أو أكثر، كما هو معروف في تاريخ الحروب والصراعات، فإنه من غير الطبيعي أن يأتوا إلى مائدةٍ نصفها خِوان.

فارغة إلَّا من مصلحة طرفٍ واحدٍ يأكلُ ما ارتضى الآخرونَ أنْ يُحضِّــروهُ لــه بنــاءً على طلبــه فيمــا هم يتَلَمَّظُّــون ويسْــتبْلِعُون. هكــذا اختــارت السلطة عندنا أن تكـون منـذ بدايـة مـا سـمِّي "مفاوضـات" في الرابـعَ عشرَ من نيسان/أبريل الماضي وصولاً إلى ما هـو منتظـرٌ في الاجتمـاع العســكري في البنتــاغون المخطــطِ لــه في التاســع والعشــرين من أيار/مايو الجاري ثم إلى جلسة "مطاوعات" سياسية جديدة في الثـاني والثالث من حزيران/يونيو المقبل. الأمر المـريب جـدَّاً في هـذا المنـاخ، هو الحديث عن "تنسيقٍ عسـكري لبنـاني-إسـرائيلي" بخصـوص الوضـع في الجنوب خاصةً وفي لبنان عامّةً. ما هو هذا التنسيق وهل تجري في الخفـاء اتفاقـاتٌ تخشـى السـلطة أن تعلنهـا، فتتركهـا لتظهـر تباعـاً بوصفها أمراً واقعاً؟ وهـل تريـد السـلطة من اللبنـانيين، ولا سـيَّما من الجنوبيين، أن يتكيّفوا معَ الاحتلال تحت أوهام القول لاحقاً إنَّ التنسيق يخدم تحقيـق وقـف إطلاق النـار؟ حـقُّ اللبنـانيين، وفي طليعتهم أبنـاء الجنوب، أن يتشككوا في هذه المسألة تشـكُّكاً كبـيراً. وهم يعرفـون أنَّ الاحتلال الإســرائيلي لا يحــترم المواثيــق والتعهُـدات، حــتى لــو ادَّعى بالموافقـة عليهـا. ومـا زالت في الـذاكرة قضـية القـرار 425 (تـاريخ 1978) الـذي لم تنفِّذْه "إسـرائيل" إلَّا بعـد 22عامـاً بفعـل المقاومـة، فكيــف يمكن الوثــوق اليــوم بهدنــة مقطوعــة الــرأس ســلفاً بخمســة وأربعين يوماً؟ هذه المعطيات تكشف أنَّ "الهدنة الجديدة" ليسـت أكـثر من غطــاءٍ، ومــدةٍ إضــافيةٍ، اكتســبَها العــدوُّ الإســرائيلي ليســتمرَّ في عدوانه، وليواصـل مخططـه في تـدمير قـرى الجنـوب، وليُوسِّـعَ نطـاق جرائم الاغتيال في أي منطقة لبنانية، وليتابع التحريض على الانقســامَ الــداخلي الــذي بلــغ للأســف الشــديد أخطــر الــدرجات. أمَّا في جــانب الســلطة فقـد اسـتفادت دعائيَّاً، وبصـورة مؤقتـة، ممَّا يسـمَّى الهدنـة للقول بأنها حقَّقت إنجازاتٍ. هذه الاسـتفادة لا تعفيهـا من المسـؤولية الآتية عندما يزداد انزلاق لبنـان نحـو أوهـام السـلام، أو عنـدما تتواصـل الغارات الإسرائيلية على الجنوب وغيره. ربَّما لا ترغب السـلطة في أن تدرك أنَّ لبنان يحتاج إلى حـوارٍ داخلي أكـثر من أيِّ دولـة عربيـة عنـدما يتعلَّق الأمر بمواجهة العدوِّ الإسرائيلي. ثمَّ إنَّ السلطة مـا زالت تتـوهَّم أنها تستطيع فصل لبنان عن الوضع الإقليمي ـ الـدولي في المنطقـة، بينما لو أخذت هذه النقطة بالحُسبان لكانت تمتَّعت بشـيءٍ من الحنكـة، ولكان ذلك في مصلحة لبنان، إذْ إنَّ كلَّ مـا يجـري الآن سـيتأثر سـلباً أو إيجابــاً بالمفاوضــات الأميركيــة – الإيرانيــة عــبر باكســتان والــدورين

الروسي والصيني، سـواء اِقتنعتِ السـلطة بـذلك أم لا. أيامُنـا المقبلـة في لبنان صـعبة، والهُدنـة لعبـة جديـدة، لكنَّ التـاريخ يُثبتُ أن اسـتمرار الاحتلال بأشكاله المختلفة سيُنتج حتماً مقاومة بأشكالٍ مختلفـة، فـأين الهرب من التاريخ؟

23/05/2026